مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٧ م ٦ ربيع الأول سنة ١٣٧٧ هـ

عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي

موجز ترجمته ، منزلته في الشعر ، البقية الباقية من شعره وأمثلة منه ،
قصيدته اللاميـــة المنسوبة الى السموءل ، قصيدته العينية

- ٢ -

قصيدته العينية

هذه القصيدة مرثية رثى بها الشاعر أخاه سعيد بن عبد الرحيم ، وهي من القصائد الطوال يبلغ عدد أبياتها نحواً من ماية بيت ، تدل على طول نفَس الشاعر ، ومقدرته ، وجزالة أسلوبه ، وحسن تصرفه في تصوير حزنه ، وذكر محاسن أخيه ، ومبلغ الفجيعة بفقده ؛ فقد مثَّل لكل ذلك صوراً كاملةً ومشاهد ماثلة ، يمكن أن ينتزع الرسَّام منها لوحات تنبض بالحياة . وهو على تفننه بها لم يفارق عمود الشعر العربي ، بل جلاها مثالاً للأسلوب العربي الخالص ؛ ومزيته بها : سعة الخيال ، وتنويع الصور وتسلسلها ، في سبيل الإفصاح عما يتراءى له ويجيش في صدره .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولقد ذكرنا في القسم الأول [١] من هذا البحث أننا ظفرنا بهذه القصيدة كاملةً برواية الرياشي عن الأصمعي في مخطوطة جمهرة الإسلام [٢] ذات النثر والنظام لأمين الدين [٣] أبي الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن رسلان الشيزري ، ولا نعرف كتاباً غيرها اشتمل على هذه القصيدة بتمامها ، على أن ابن المعتز أورد منها في كتابه طبقات الشعراء أربعة عشر بيتاً سنشير إليها .

قال ابن المعتز في طبقات الشعراء ص ٢٧٧ : « وللحارثي قصيدة يرثي فيها أخاه سعيد بن عبد الرحيم ليست بدون قصيدة متمم [٤] التي يرثي بها أخاه مالكاً وهي على روي تلك » .

وورد في جمهرة الإسلام ما نصه :

قال الرياشي : سألت الأصمعي عن محمد بن مناذر وجودة شعره ، فقال لي : أين أنت والحارثي ؟ قلت وهو أشعر منه ؟ قال إي والله ومن جرير والفرزدق والأخطل . قلت ما علمت أنه كذلك ؟ فقال ويحك ما سمعت مرثيته في أخيه سعيد ؟ ثم أنشدني :

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي م ٣٢ ص ٤٠١

(٢) في خزانة المجمع العلمي العربي نسخة مصورة من هذا الكتاب .

(٣) كان أبو الغنائم أديباً شاعراً وكان موجوداً في سنة سبع عشرة وستمائة فقد توفي في هذه السنة أو بعدها (ابن خلكان في ترجمة طغتكين بن أيوب ١ / ٢٩٨) .

(٤) هو متمم بن نويرة اليربوعي وقصيدته التي يرثي بها أخاه مالكاً من المراثي السبع الممدودة من عيون الشعر العربي وأولها :

لعمري وما دهري بتأبين مالكٍ ولا جزعاً مما أصاب فأوجعا

وفيها يقول :

فإن تكن الأيام فرّقن بيننا لقد بان محموداً أخي يوم ودّعا
وعشنا بخيرٍ في الحياة وقبلنا أصاب المنايا رهط كسرى وتُبّعا
وكنا كندماني جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرّقنا كأني ومالكاً لطول اجتماعٍ لم نبت ليلةً معا
فتىً كان أحيا من فتاةٍ حييةٍ وأشجع من ليث إذا ما تمنعا

والقصيدة من قصائد جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص ١٤١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فَما أُمُّ سَقْبٍ (١) أَوْدَعَتْهُ قَرارَةً مِنَ الأَرْضِ وَاْنْساحَتْ لِتَرْعَى (٢) وَتَهْجَعا
لَحِيسٍ (٣) كَمِثْلِ الأَيْهَقانِ ابْنِ لَيْلَةٍ أَمَدُّ (٤) قُوَاهُ أَنْ يَنُوءَ فَيَرْكَعا (٥)
وَيَهْتَزُّ فِي الْمَشْيِ (٦) الْقَرِيبِ كَأَنَّهُ قَضِيبٌ مِنَ الْبانِ اْرْتَوَى (٧) فَتَرَعْرَعا
فَظَلَّتْ بِمُسْتَنٍّ (٨) الصَّبا مِنْ أَمامِهِ تَبَغَّمُ (٩) فِي الْمَرْعَى إِلَيْهِ لِيَسْمَعا
إِذا غَفَلَتْ (١٠) نادَتْ (١١) وَإِنْ ثابَ نَبْأَةٌ عَلَى سَمْعِها تَذْكُرْ طَلاهَا فَتَرْفَعا (١٢)

(١) السَّقْب : ولد الناقة . وفي طبقات الشعراء لابن المعتز « فما أُمّ خشفٍ ....»
والخشف : ولد الظبي .
(٢) في الأصل : لتروى ، واخترنا رواية طبقات الشعراء .
(٣) لحيس : أي لاتزال أمه تلحسه لقرب عهده بالولادة . وفي الطبقات : « كلون الأيهقان » .
والأيهقان : الجرجير البري .
(٤) في الطبقات : « أمرُّ قواه ....» .
(٥) في الأصل : « وير كعا » والترجيح من الطبقات .
(٦) في الطبقات : « في الممشى ....» .
(٧) في الطبقات : « النوى » .
(٨) المُسْتَنُّ : المضطرَب والمذهب .
(٩) بَغَمَت الناقة وتبغمت : قطعت الحنين ولم تمده . وفي الطبقات : « تنغم ....» .
(١٠) في الطبقات : إذا أغفلت .... ولعلها : إذا قَفَلت أي عادت .
(١١) في الأصل : « زادت » . والترجيح من الطبقات .
(١٢) رفع البعيرُ في سيره : بالغ . ورواية الطبقات (فتربعا) ورَبَع : توقف وانتظر وتحبس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فَخَالَفَهَا (١) عَارِي ٱلْفَواهِقِ (٢) شَاسِبٌ أَخُو قَفْرَةٍ أَضْحَىٰ وَأَمْسَىٰ مُجَوَّعَا

فَأَنْهَلَ مِنْهُ بَعْدَ عَلٍّ وَلَمْ يَدَعْ لِمُلْتَمِسٍ إِلاَّ وَشِيقاً (٣) مُذَعْذَعَا (٤)

فَجَاءَ بِرَيَّاهُ نَسِيمٌ مِنَ ٱلصَّبَا إِلَيْهَا (٥) وَرُزْءٌ جَرَّ ثُكْلاً فَأَوْجَعَا (٦)

فَأَعْجَلَهَا عَنْ حَمْلِهَا ٱلْوَجْدَ فَارْتَمَتْ عَلَىٰ دَهَسٍ (٧) لاَ تَأْتَلِي أَنْ تَشَنَّعَا (٨)

مُوَلَّهَةٌ لَمْ يَتْرُكِ ٱلْوَجْدُ عِنْدَهَا بِوَاحِدِهَا إِلاَّ فُؤَاداً مُرَوَّعَا

---

(١) خالفها : أي قصد ولدها وهي مولية عنه .

(٢) في الأصل : « فخالفها عاري التراقي ابن قفرَةٍ » والترجيح من الطبقات ، وكأنه أراد بالفواهق جمع فَهْقَة وهي عظمٌ عند مركب العنق ولكن جمعها فِهاق ، ولذلك رأى محقق الطبعة المصرية أنها مصحفة عن « النواهق » وقال : « النواهق : العظام الشاخصة بجوار العين . » ولكن يرد على ذلك أن النواهق لذوات الحافر وليست للسباع المفترسة . والشاسب : الضامر المهزول .

(٣) الوشيق : لحم يقدد حتى ييبس . وفي الطبقات : « إلاّ شريحا » والشريح : القطعة من اللحم وكل سمين من اللحم ممتد .

(٤) المذعذع : المبدّد . وفي الأصل « مدعدعا » .

(٥) في الطبقات : « صباحًا ودَرّ .... » .

(٦) قال ابن المعتز في الطبقات بعد هذا البيت : « وهذا كلام يعجز الشعراء ويفضحهم » .

(٧) الدَّهَسُ : المكان السهل ليس برمل ولا تراب ، ويجوز أن يكون : « على دَهَشٍ » .

(٨) شَنَّع البعيرُ وتشَنَّع : انكمش وجد في السير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فَطافَتْ بِعَلْقاهُ وَمَصْرَعِ جَنْبِهِ فَسافَتْ[1] دَماً مِنْهُ وَشِلْواً مُقَطَّعا
لَحارَتْ وَبارَتْ وَاسْتَطارَتْ وَرَجَّعَتْ حَنِيناً فَأَبْكَتْ كُلَّ مَنْ كانَ مُوجَعا
وَنَدَّتْ[2] عَلى وَحْشِيَّها تَرْكَبُ الرُّبى وَتَنْفِي الْحَصى أَخْفافُها قَدْ تَصَدَّعا
فَلأْياً[3] بِلأْيٍ ما ثَنَوْها عَشِيَّةً وَشَدُّوا بِعَيْنَيْها الْحِبالَ لِتَرْبَعا[4]
فَقامَتْ أَخِيرَ الْبَرْكِ[5] يَدْعُو حَنِينُها حَنِينَ الْمَوالِيهِ[6] الثَّكالَى الْمُرَجَّعا
وَقُمْنَ بِجَنْبَيْها فَأَسْعَدْنَ شَجْوَها كَما أَسْعَدَ الْحَيُّ الْمُصابَ الْمُفَجَّعا
فَإِنْ سَجَرَتْ[7] وَهْناً سَجَرْنَ لِسَجْرِها وَإِنْ سَجَعَتْ[8] وَهْناً تَجاوَبْنَ سُجَّعا

* * *

(١) سافَتْ . شَمَّتْ ، والشِّلْوُ : العضو من أعضاء اللحم وكل مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقية .

(٢) نَدَّ البعير : نفر وذهب على وجهه شارداً . وحشيُّ كل دابة : شقه الأيمن ، وإنسيه : شقه الأيسر .

(٣) اللأْي : الإبطاء والاحتباس والشدة .

(٤) في الأصل : « لترفعا » ولعل ما أثبتناه الصواب . يقال رفع البعير : بالغ في سيره ، وربع : توقف وانتظر وتحبس .

(٥) البَرْك : إبلُ أهل الحِواء كلها التي تروح عليهم بالغةً ما بلغتْ وإن كانت أُلوفاً .

(٦) المَوالِيهُ : جمع مِيلاه وهي الشديدة الحزن والجزع على ولدها .

(٧) سَجَرت الناقة سَجْراً وسُجُوراً : مَدَّت حنينها . والوَهن : نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه .

(٨) سجعت الناقة : مدت حنينها على جهة واحدة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فَحَنَّ نساءُ الْحيِّ مِنْ بَعْدِ هَجْعَةٍ ... لِصَوْتٍ دَعَا أُثْكالَهُنَّ فَأَسْمَعا

وَأَقْبَلْنَ مِنْ هُنَّا وَهُنَّا وَأَسْفَرَتْ ... سُتُورُ الدُّجَى عَنْ مَأْتَمٍ قَدْ تَجَمَّعا

فَمَا شَقَّ(١) ضوءُ الْفَجْرِ حَتَّى تَصَدَّعَتْ ... جُيُوبٌ(٢) وَحَتَّى فَاضَ دَمْعٌ فَأَسْرَعا

بِأَوْجَعَ مِنِّي يَا سَعِيدُ تَحَرُّقاً ... عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ عَنْكَ مَدْفَعا

* * *

فَلَوْ أَنَّ شَيْئاً فِي لِقَائِكَ مُطْمِعٌ ... صَبَرْتُ وَلَكِنْ لاَ أَرَى فِيهِ مَطْمَعا

فَأُقْسِمُ لاَ تَنْفَكُّ نَفْسِي شَجِيَّةً ... عَلَيْكَ وَوَجْهِي حَائِلَ اللَّوْنِ أَسْفَعا

وَقَدْ كُنْتُ أَلْحَى مَنْ بَكَى لِمُصِيبَةٍ ... فَهَأَنَذَا قَدْ صِرْتُ أَبْكَى وَأَجْزَعا

وَقَدْ قَرَعَتْنِي الْحَادِثَاتُ وَرَيْبُهَا ... بِثُكْلِكَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ فِيَّ مَقْرَعا

وَقَدْ كُنْتُ مَغْبُوطاً وَقَدْ كُنْتُ مُصْعَباً ... فَأَصْبَحْتُ مَرْحُوماً لِفَقْدِكَ أَخْضَعا

وَقَدْ كُنْتَ لِي أَنْفاً حَمِيًّا فَفَاتَنِي ... بِكَ الْقَدَرُ الْجَارِي فَأَصْبَحْتُ أَجْدَعا

فَلَوْ أَنَّ طَوْداً مِنْ تِهَامَةَ ضَافَهُ ... مِنَ الْوَجْدِ مَا قَدْ ضَافَنِي لَتَضَعْضَعا

فَيَا سَيِّداً قَدْ كَانَ لِلْحَيِّ عِصْمَةً ... وَيَا جَبَلاً قَدْ كَانَ لِلْحَيِّ مَفْزَعا

دَرَأْتُ بِهِ جَبْرَ الرَّزَايَا وَلَمْ أَجِدْ ... لَهُ خَلَفاً فِي الْغَابِرِينَ فَأَقْنَعا

---

(١) شَقَّ ضوء الفجر : طلع .

(٢) الجيوب : جمع جَيْب : وهو القلب والصدر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وَأَبْيَضَ وَضَّاحِ ٱلْجَبِينِ كَأَنَّهُ سَنَا قَمَرٍ أَوْفَى مَعَ[1] ٱلْعَشْرِ أَرْبَعا
قَطِيعَ لِسَانِ ٱلْكَلْبِ عَنْ نَبْحِ ضَيْفِهِ مُوَطَّأَ أَكْنَافِ ٱلرُّوَاقِ سَمَيْدَعا
وَمُجْتَنِباً لِلْقَوْلِ فِي غَيْرِ حِينِهِ حِفَاظاً وَقَوَّالاً إِذَا قَالَ مِصْقَعا
يَصُونُ بِبَذْلِ ٱلْمَالِ نَفْساً كَرِيمَةً وَعِرْضاً حِمىً مِنْ كُلِّ سُوءٍ مُمَنَّعا
فَتَى ٱلْخَيْرِ لَمْ يَهْمُمْ بِغَدْرٍ وَلَمْ يُعَبْ بِعَجْزٍ وَلَمْ يَمْدُدْ إِلَىٰ ٱلذَّمِّ إِصْبَعا
وَلَا كَانَ فِي ٱلنَّادِي فَيَهْجُرَ قَوْمُهُ بِأَمْلَأَ مِنْهُ فِي ٱلْعُيُونِ وَأَرْوَعا
وَلَا غَابَ إِلَّا نَافَسَ ٱلْقَوْمُ بَيْنَهُمْ وَلَا آبَ إِلَّا كَانَ لِلْحَيِّ مَقْنَعا
وَمَا زَالَ حَمَّالاً لِكُلِّ عَظِيمَةٍ ـ إِلَىٰ أَنْ قَضَىٰ مِنْ نَحْبِهِ ـ مُذْ تَرَعْرَعا
فَتًى كَانَ لَا يَدْعُو إِلَىٰ ٱلشَّرِّ نَفْسَهُ فَإِنْ جَاءَهُ ٱلشَّرُّ ٱمْتَطَاهُ فَأَوْضَعا
وَيَرْكَبُ صَعْبَ ٱلْأَمْرِ حَتَّىٰ يَرُدَّهُ عَلَىٰ عَقِبٍ مِنْهُ ذَلُولاً مُوَقَّعا[2]
وَأَمْرٍ كَحَدِّ ٱلسَّيْفِ قَدْ خَاضَ غَمْرَهُ بِهِمَّاتِهِ[3] كَيْمَا يَضُرَّ وَيَنْفَعَا
رَأَتْهُ ٱلْمَنَايَا خَيْرَنَا فَٱخْتَرَمْنَهُ وَكُنَّ بِتَعْجِيلِ ٱلْأَخَايِرِ نُزَّعا

(١) هذا البيت أحد الأبيات الأربعة عشر التي نقلها ابن المعتز من هذه القصيدة في كتابه طبقات الشعراء ، والرواية هناك : « ... على العشر أربعا » .
(٢) الموقَّع : البعير تكثر آثار الدَّبَر عليه : وهي قروح تحدث من الرحل ونحوه .
(٣) كذا ولعله : بهمته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تَقَنَّصْنَهُ مِنْ دُونِ بَيْضَاءَ نَثْلَةٍ (١) وَعَضْبٍ إِذَا مَا صَابَ لِلْقَطْعِ أَسْرَعَا

* * *

وَأَجْرَدَ خَوَّارِ الْعِنَانِ (٢) كَأَنَّهُ عُقَابٌ هَوَتْ مِنْ بَيْنِ نِيقَيْنِ أَتْلَعَا

أَشَقَّ (٣) طَوَاهُ الرَّكْضُ فِي كُلِّ غَارَةٍ وَحَطَّمُ الْقَنَا بِالنَّحْرِ حَتَّى تَجَزَّعَا

وَأَشْرَسَ (٤) يَسْتَقْرِي الْكُمَاةَ أَجَابَهُ فَبَوَّأَهُ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ مَصْرَعَا

جَهِيضًا (٥) يَذُبُّ الطَّيْرَ عَنْهُ بِكَفِّهِ فَيُحْجِمْنَ عَنْهُ ثُمَّ يَرْجِعْنَ شُرَّعَا

فَمِنْ وَالِغٍ حَصْدَاءَ جِلْدَةُ ظَهْرِهِ وَمِنْ نَاهِشٍ أَدْفَى (٦) الْجَنَاحَيْنِ أَقْرَعَا

* * *

كَأَنَّ سَعِيدَ الْخَيْرِ لَمْ يَهْدِ (٧) غَارَةً كَرِجْلِ الْجَرَادِ الْتَفَّ ثُمَّ تَرَفَّعَا

---

(١) النثلة : الدرع الواسعة .

(٢) فرس خوّار العِنان : سهل المعطف كثير الجري . والنِّيق : أرفع موضع في الجبل .

(٣) الأَشَقُّ من الخيل : الذي يشتق في عدوه يميناً وشمالاً وقيل البعيد ما بين الفروج والطويل . وتجزّع : تقطع وتفرق .

(٤) الأشرس : الجريء في القتال .

(٥) الجهيض : الملقى .

(٦) أدفى الجناحين : طويل الجناحين . وفي الأصل (أزقى الجناحين) .

(٧) هَدَى الغارة : تقدمها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وَلَمْ يَصْبِحِ (١) الْخَيْلَ الْخُيُولَ بِخَيْلِهِ فَيَتْرُكَ مِنْهُمْ سَاحَةَ الدَّارِ بَلْقَعا

وَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى كَأَنَّهَا تُرَى بِرِجَالِ الْحَيِّ خُشْبًا (٢) مُصَرَّعا

وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَلْقَى بِكُلِّ مَجَازَةٍ لَقِيتَ لَهُ حَسْرَى وَسَخْلاً مُوَصَّعا (٣)

وَإِنْ غَشِيَتْ (٤) حَزْنًا (٥) سَنَابِكُ خَيْلِهِ تَضَاءَلَ حَتَّى يُصْبِحَ الْحَزْنُ أَجْرَعا

وَتَبْعَثُ يَقْظَانَ التُّرَابِ جِيَادُهُ وَنَائِمَهُ حَتَّى يَهُبَّ فَيَسْطَعا

* * *

وَلَمْ (٦) يَسْرِ بِالرَّكْبِ الْخِفَافِ لُحُومُهُمْ عَلَى قُلُصٍ تَثْنِي قَوَائِمَ ظُلَّعا

فَأَظْهَرَ وَالْحِرْبَا يَنُوفُ بِعُودِهِ مُوَلٍّ قَفَاهُ الشَّمْسَ يَخْدِينَ رُفَّعا

لَهَا وَقْعَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وتلميمه (٧) تَجْنِي النَّجَاءَ الْمُلَمَّعا (٨)

---

(١) صَبَحَ القومَ : أتاهم وأغار عليهم صباحاً .

(٢) كذا ولعلها (حَشْداً) .

(٣) كذا ولعله (مُبَضَّعا) أي مقطَّع .

(٤) في الأصل : عشبت .

(٥) في الأصل : جريًا .

(٦) أي : وكأنه لم يسر ....

(٧) كذا في الأصل ولم يظهر لنا وجه الصواب .

(٨) المَلَّع : السير السريع . وفي الأصل : المملعا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وَتَسْتَوْدِعُ الْمَعْزَاءَ[١] عِنْدَ انْبِعَاثِهَا ... بِنَاتِ الْحَوَايَا[٢] وَالشَّرِيحَ الْمُقَطَّعَا

كَأَنَّ عَلَى أَكْوَارِهَا حِينَ تَنْفِرِي ... سَرَابِيلَهُمْ عَنْهُمْ أَجَادِلُ وُقَّعَا

تَرَى كُلَّ دَهْمَاءِ الْحَوَاشِي مَكُورَةً ... عَلَى كُلِّ وَجْهٍ حَالَ مِنْهُمْ وَأَخْدَعَا

* * *

وَلَمْ[٣] يَهِبِ الْكُومَ الْمَرَايَا[٤] وَعَبْدَهَا ... كَأَنَّ بِهَا نَخْلاً بِنَجْرَانَ يُنْعَا

مُضَمَّنَةً أَمْثَالَهَا فِي بُطُونِهَا ... مُكَحَّلَةً قُبْلَ[٥] الْمَرَافِقِ مُزَّعَا[٦]

تَرِفُّ بِأَمْثَالِ الْمَجَادِلِ[٧] لَمْ يَدَعْ ... رَضِيخُ النَّوَى وَالْقَضْبُ[٨] فِيهِنَّ مَضْبَعَا[٩]

---

(١) المَعْزاء : الأرض الصلبة الكثيرة الحصى .

(٢) الحوايا : جمع حَوِيَّة وهي ما تحوّى أي انقبض واستدار من الأمعاء . وكساء يحشى بهشيم النبات ويجعل حول سنام البعير .

(٣) أي : وكأنه لم يهب ....

(٤) المرايا : جمع مَرِيّ وهي الناقة الكثيرة اللبن .

(٥) القُبْل : جمع أقبل وهو البعيد ما بين أوساط الساقين .

(٦) مزع البعير : أسرع . وفي الأصل (نُزّعا) .

(٧) جمع مِجدل : وهو القصر .

(٨) القضب أغصان البقل ، والرطب . والكلمة في الأصل غير منقوطة .

(٩) ضبعت الناقة : مدت ضبعيها في سيرها واهتزت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تَصَيَّفَتِ ٱللَّجُونَ (١) ثُمَّ تَخَيَّرَتْ لَهَا مِنْ شَمَارِيخِ (٢) ٱلْفُلَيْجَةِ (٣) مَرْبَعا (٤)
إِذَا شَقْشَقَتْ (٥) فِيهَا حَسِبْتَ هَدِيرَهَا هَمَاهِمَ رَعْدٍ آخِرَ ٱللَّيْلِ رُجَّعا

* * *

وَلَمْ (٦) يُحْرِمِ (٧) ٱلْبِيضَ ٱللَّوَاتِي كَأَنَّهَا نُجُومُ ٱلثُّرَيَّا مَسْقَطَ ٱلْفَسْرِ طُلَّعا
مُجَلَّلَةً خَزًّا وَقَزًّا يَظُنُّهُ بِأَقْدَامِهَا وَٱلسَّابِرِيُّ (٨) ٱلْمُضَلَّعا
تَهُزُّ إِذَا تَمْشِي مُتُونًا كَأَنَّمَا تَهُزُّ بِهِنَّ ٱلرِّيحُ عِيدَانَ (٩) نِيِّعا
كَأَنَّ ٱلْبُرَى (١٠) وَٱلْعَاجَ فِي قَصَبَاتِهَا تَعَمَّرْنَ (١١) ضَالاً أَوْ تَعَمَّرْنَ خِرْوَعا (١٢)

* * *

(١) اللَّجُون : بلد بالأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلاً (معجم البلدان) .
(٢) الشماريخ : رؤوس الجبال .
(٣) الفُلَيْجَة : تصغير الفَلَجَة (معجم البلدان) والفَلَجَة من أرض دمشق وهي بلدة الشاعر كما تقدم .
(٤) المَرْبَع : الموضع يقام فيه فصل الربيع .
(٥) شقشق الفحلُ : هدر .
(٦) أي : وكأنه لم يحرم ...
(٧) أحرم الشيء : جعله حراما . وفي الأصل (ولم تحدم) .
(٨) السابري : النسيج الجيد نسبة الى سابور على غير القياس .
(٩) ناع الغصنُ : مال .
(١٠) البُرَى : جمع بُرَة وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال .
(١١) كذا في الأصل ولم يظهر لنا صوابه .
(١٢) الخِرْوَعُ : كل نبت ضعيف يتثني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تَرَىٰ ٱلنَّاسَ أَرْسَالاً إِلَيْهِ كَأَنَّمَا تَضَمَّنَ أَرْزَاقَ ٱلْعُفَاةِ لَهُمْ مَعَا

فَمِنْ صَادِرٍ قَدْ آبَ بِٱلرِّيِّ حَامِدٍ وَمِنْ وَارِدٍ شَاحٍ بِفِيهِ لِيَكْرَعَا

أَفَاتَ (١) بِإِبْقَاءٍ عَلَىٰ ٱلْعِرْضِ مَالَهُ فَأَنْجَحَ إِذْ أَكْدَىٰ ٱلْبَخِيلُ وَأَوْضَعَا

وَلَا يَسْتَخِصُّ ٱلْقِدْرَ مِنْ دُونِ جَارِهِ لِيَشْبَعَ وَٱلْجِيرَانُ يُمْسُونَ (٢) جُوَّعَا

جَوَادٌ إِذَا مَا أَلْصَقَ ٱلْمَحْلُ بِٱلثَّرَى وَضَاقَ لِئَامُ ٱلنَّاسِ عَنْهُ تَوَسَّعَا

كَسَاهُ ٱلْحَيَاءَ ٱلْجُودُ حَتَّىٰ لَوَ ٱنَّهُ يُجَرَّدُ مِنْ سِرْبَالِهِ مَا تَمَنَّعَا

وَيُلْقِي رِدَآءَ ٱلْعَصْبِ (٣) قَبْلَ ٱبْتِذَالِهِ وَقَبْلَ (بِلَاهُ) (٤) ٱلْحَضْرَمِيُّ ٱلْمُرَصَّعَا

إِذَا ٱلْعَرَقُ ٱلْمَرْشُوحُ بَلَّ رِدَآءَهُ جَرَىٰ ٱلْمِسْكُ مِنْ أَرْدَانِهَا (٥) فَتَضَوَّعَا

فَيَوْمًا تَرَاهُ بِٱلْعَبِيرِ مُضَمَّخًا وَيَوْمًا تَرَاهُ بِٱلدِّمَآءِ مُلَمَّعَا

وَيَوْمًا تَرَاهُ يَسْحَبُ ٱلْوَشْيَ غَادِيًا وَيَوْمًا تَرَاهُ فِي ٱلْحَدِيدِ مُقَنَّعَا

---

(١) هذا البيت والذي يليه من الأبيات الأربعة عشر التي نقلها ابن المعتز من هذه القصيدة في كتابه طبقات الشعراء والرواية هناك : «أناف ....» وليس كذلك .

(٢) في طبقات الشعراء : (يمشون) والصواب خلافه .

(٣) العَصْب : ضرب من البرود . وفي الأصل (العضب) وهو تصحيف .

(٤) في الأصل (تلاد) ولعل الصواب ما أثبتناه . والحضرمي : النعل .

(٥) كذا بالأصل ولعله : (من أردانه) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إِذَا[1] نَالَ مِنْ أَقْصَى مَدَى[2] ٱلْمَجْدِ غَايَةً سَمَا طَالِباً مِنْ تِلْكَ أَسْنَى وَأَرْفَعا

أَجَلَّ عَنِ ٱلْعُورِ ٱلْهَوَاجِرِ سَمْعَهُ وَوَقَّرَهُ[3] مِنْ أَنْ تُقَالَ فَيَسْمَعا

لَهُ رَاحَةٌ فِيهَا حِبَاً[4] لِصَدِيقِهِ وَأُخْرَى[5] سَقَتْ أَعْدَاءَهُ ٱلسُّمَّ مُنْقَعا

* * *

فَمَا فُجِعَ ٱلْأَقْوَامُ مِنْ رُزْءِ هَالِكٍ بِأَعْظَمَ مِمَّا قَدْ رُزِئْتُ وَأَفْظَعا

وَمَنْ طَابَ نَفْساً عَنْ أَخٍ لَوَدَاعِهِ فَمَا طِبْتُ نَفْساً عَنْ أَخِي يَوْمَ وَدَّعا

فَوَا عَجَباً لِلْأَرْضِ كَيْفَ تَأَلَّبَتْ[6] عَلَيْهِ وَوَارَتْ ذٰلِكَ ٱلْفَضْلَ أَجْمَعا

وَيَا بُؤْسَ هٰذَا الدَّهْرِ مِنْ ذِي تَلَوُّنٍ وَذِي فَجَعَاتٍ مَا أَفَظَّ وَأَفْظَعَا

---

(١) قال ابن المعتز : «هذا البيت مجدة للشعراء» وهو مع البيتين اللذين بعده آخر ما نقله ابن المعتز من الأبيات الأربعة عشر من هذه القصيدة في كتابه طبقات الشعراء .

(٢) في طبقات الشعراء : (عرى المجد) .

(٣) في طبقات الشعراء : (ونزّهه) .

(٤) في طبقات الشعراء : (الحبا) .

(٥) في طبقات الشعراء : (وأخرى لمن عادى بها السم منقعا) .

(٦) في الأصل (تألمت) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هُوَ ٱلْمُتْعِسُ (١) ٱلنُّعْمَانَ (٢) قَسْراً وَقَبْلَهُ أَبَا كَرِبٍ (٣) وَٱلْأَيْهَمَيْنِ (٤) وَتُبَّعَا (٥)

وَزَيْدَ بْنَ (٦) كَهْلَانَ وَعَمْرَو بْنَ (٧) عَامِرٍ وَحُلْوَانَ (٨) أَرْدَى عَنْوَةً وَٱلْهَمَيْسَعَا (٩)

فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي أَضْحَى يُؤَمِّلُ بَعْدَهُمْ فَلَاحاً وَقَدْ كَانُوا أَعَزَّ وَأَمْنَعَا

وَمَا أَحَدٌ إِلَّا لَهُ ٱلْمَوْتُ نَاصِبٌ بِمَوْقَعَةٍ (١٠) مِنْهُ حَبَائِلَ صُرَّعَا

وَكُلُّ ٱمْرِئٍ مِنْهَا بِمَنْزِلِ (١١) قُلْعَةٍ وَإِنْ وَلَدَ ٱلْأَوْلَادَ فِيهَا وَجَمَّعَا

* * *

(١) في الأصل : المعمس .

(٢) هو أبو قابوس النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة ممدوح النابغة الذبياني قتله كسرى .

(٣) أبو كرب أسعد بن مالك الحميري من التبابعة .

(٤) الأيهم الأول والأيهم بن جبلة ملكان من ملوك غسان في الشام .

(٥) تُبَّع الحميري : حسان بن أسعد من أعاظم تبابعة اليمن ثار عليه جماعة من قومه فقتلوه

(٦) زيد بن كهلان : ينتهي اليه نسب عدة من قبائل العرب القحطانية .

(٧) عمرو بن عامر مُزَيْقِياء جد بني جفنة ملوك غسان .

(٨) هو ابن عمرو بن عامر .

(٩) الهميسع بن حمير : ملك بعد أبيه وهو أبو الملوك التبابعة والأقيال والأذواء .

(١٠) موقعة الطائر : موضع يقع عليه .

(١١) منزل قُلْعة : لا يملك ، ومجلس قُلعة : يُقلع عنه الجالس إذا جاء من هو أعز منه والدنيا دار قُلعة : أي انقلاع وارتحال .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبعد فالناظر في هذه القصيدة نظرة متدبر يرى أنها أشبه بشعر العصر الأموي بل بشعر العصر الجاهلي ، ويتبين أن صاحبها شامي من العرب القحطانية ، فلقد ذكر في أواخرها مراتع إبله في (اللَّجُّون) و (الفليجة) وهما بالشام و (الفَلَجَة) بلدة الشاعر ، كما ذكر ملوك اليمن وأقيالها وتبابعتها وأذواءها ، وملوك اللخميين في الحيرة ، وملوك غسان في الشام ، وكل أولئك من العرب القحطانية ، ذكر مصارعهم وانقضاء دولهم وغدر الدهر بهم على سبيل التأسي والاعتبار .

ولئن كان لمتمم بن نويرة فضل السبق في قصيدته التي رثى بها أخاه مالكاً ، فإن للحارثي في قصيدته هذه التي عارضه بها مزية الاستقصاء والتنويع في تمثيل حزنه وتصويره .

* * *

استدراك

ذكرنا في القسم الأول في هذه المقالة — المنشور في الجزء الماضي من هذه المجلة — الأدلة التي تثبت أن القصيدة اللامية التي مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ

لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي . وقد اطلعنا منذ بضعة أيام على دليل جديد يعد من أقوى الأدلة في كتاب عيار الشعر لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ المطبوع في مصر سنة ١٩٥٦ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عقد ابن طباطبا في كتابه المذكور فصلاً مهّد له بقوله : «فمن الأشعار المحكمة المتقنة ، المستوفاة المعاني ، الحسنة الرصف ، السلسة الألفاظ ، التي قد خرجت خروج النثر سهولةً وانتظاماً ، فلا استكراه في قوافيها ، ولا تكلف في معانيها» وأورد مختارات من أحسن الشعر لجماعة من كبار الشعراء حتى انتهى إلى قوله : وكقول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي :

تعيّرنا أنّا قليلٌ عديدُنا فقلتُ لها إنّ الكرامَ قليلُ

ثم أورد بعد هذا البيت أربعة عشر بيتاً على سبيل الاختيار وعلى أنها للحارثي . انظر عيار الشعر ص ٤٨ و ٦٥ و ٦٦ .

خليل مردم بك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net